

يهود اليمن بين البقاء والهجرة

خلاف صهيوني على ترحيلهم
أو إبقائهم خدمة لأهداف استراتيجية

صنعاء/ علي الرشيد



ت يبدو الفارق كبيراً بين أمس واليوم في أحلام دولة الكيان الصهيوني وطموحاتها، فبدلاً من المطالبة بتهجير البقية الباقية من يهود اليمن -وان بصورة فردية أو ضمن مجموعات قليلة- إلى (إسرائيل) كما كان عليه الحال حتى مطلع التسعينات من القرن الميلادي الماضي، صار الحديث قبل سنوات قليلة يشير إلى شبه (انقراض ليهود شبه الجزيرة العربية بعد نحو ٣٠٠ سنة) في إشارة إلى ما تبقى منهم في الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة بعد أن وصل عددهم الآن إلى أقل من (٣٠٠) شخص يقطن غالبيتهم في منطقة (ريدة) التابعة لمحافظة (عمران) -٧٠ كلم شمال صنعاء- وقله منهم منطقة (خارف) التابعة لمحافظة (صعدة) -٢٤٢ كلم شمال العاصمة اليمنية- وقد كانت المصادر التاريخية تقدر عددهم في مطلع القرن الماضي بـ(١٠٠) ألف شخص.

والمعروف أن الوكالة اليهودية ومنظمات أخرى أسهمت في تهجير يهود اليمن إلى (إسرائيل) خلال القرن الفائت، وكانت أكبر موجات جماعية قد تمت في نهاية الأربعينات عبر عملية (بساط الريح) المشهورة، ويقدر عدد من غادروا خلالها حوالي (٥٠) ألف يهودي يمني.

هجرة عكسية

ولعل اللافت للانتباه تشبث هذه الأقلية من اليهود بالبقاء في اليمن رغم الظروف المعيشية غير المخرية، خصوصاً إذا ما قورنت بحياة أقاربهم في (إسرائيل) أو أمريكا -على الأقل-، ورغم الإغراءات والمعونات التي قدمتها منظمات يهودية أمريكية للهجرة ومغادرة اليمن في العقود الماضية، وعدم ممانعة الجهات الرسمية من ذلك طالما أنه تم عبر بلد ثالث. ومما يدعو للغرابة أن هؤلاء اليهود اليمنيين لا يخفون زيارتهم المتكررة أو الدورية للكيان الصهيوني، وإن كانوا يحصرون أسبابها في قصد الأماكن المقدسة (بيت المقدس، حائط المبكى (البراق)..) وإطفاء ظمأ شوقهم للأبناء والأخوة والأقارب.. ليعودوا من جديد إلى ممارسة أعمالهم الاعتيادية البسيطة التي تتركز في الحرف اليدوية، ومجمل ما سبق قد يطرح علامات استفهام وتساؤلات حول دور هذا العدد البسيط حاضراً ومستقبلاً. والزائر لمنطقة (ريدة) وبعض المناطق المحيطة بها يتضح له أن جمعيات يهودية أمريكية بدأت منذ نحو خمس سنوات أو أكثر بدعم استقرار هذه الأسر بصورة لافتة للانتباه، من خلال شراء البيوت والعقارات وتوسيع الخدمات التعليمية لها، وإيفاد عدد من أبنائها وشبابها لدراسة (التوراة) في أمريكا، وقد ذكر لنا أحد سكان (ريدة) من المسلمين أن سبعة بيوت حديثة لليهود في منطقة واحدة بنيت في الآونة الأخيرة، وتم إنشاء مدرسة للبنات، وتم توسعة مدرسة البنين وتطوير مرافقها في المدينة نفسها والفترة ذاتها. ولعل سر الاهتمام الجديد بالبقية الباقية من يهود اليمن من قبل الجمعيات والمنظمات اليهودية، يعود برأي المراقبين إلى سببين رئيسيين: إن ما تبقى من يهود اليمن يُراد لهم أن يمثلوا حلقة مهمة في عملية تسريع التطبيع حاضراً ومستقبلاً، كون هجرتهم جميعاً إلى الأرض المحتلة (فلسطين) ستنتهي الحديث عن أي شيء حي يربط اليمن باليهود عامة، وقد لوحظ أن الهجرة صارت عكسية من الكيان الصهيوني إلى اليمن -وأواخر القرن الماضي- بهدف وضع أقدام اليهود على الأراضي اليمنية وكسر حاجز التطبيع والإفادة من موقع اليمن الجيوسياسي، وبدل

الذين يذهبون في هذا الاتجاه على قيام عدد من الأفواج السياحية الإسرائيلية عام ٢٠٠٠ بزيارة صنعاء عبر مطار صنعاء الدولي بوثائق سفر يمنية سلمت من قبل مندوب اليمن لدى الأمم المتحدة -آنذاك- السفير عبد الله الأشطل بواسطة يهودي أمريكي -يمني الأصل-، وهذه الزيارات كانت تستهدف إحداث اهتمام ولفت الأنظار إعلامياً ومحاولة التقاء شخصيات رسمية يمنية -رغم أنها لم توفق بذلك- والتصريح برغبة اليهود الإسرائيليين في إقامة مشروعات استثمارية في اليمن، ثم أوقفت هذه الزيارات من قبل السلطات اليمنية بسبب تفجر الانتفاضة ورد الفعل الشعبي الذي استنكرها بشدة.

استرداد الممتلكات القديمة

وقبل هذه الأفواج القادمة من (إسرائيل) قامت وفود يهودية أمريكية -من أصول يمنية- بزيارات متعددة لليمن وكانت الدرائع في ثلاثة اتجاهات:

- ١- استرداد ممتلكاتهم القديمة أو إعادة شرائها في صنعاء وعدن وخاصة المنازل والمحال، وقد سجل يهودي من أصل يمني مقيم في الولايات المتحدة دعوى قضائية أمام المحاكم اليمنية عام ١٩٩٩ لاستعادة منزله القديم في قلب العاصمة صنعاء (قاع العلفي) وكان يعرف قديماً باسم قاع اليهود) وتبع ذلك توكيل مجموعة من تجار يهود أمريكيان -من أصل يمني- لمحام يمني لاستعادة أملاكهم فيها تحت مبرر أنهم واجهوا اضطهاداً وتمييزاً دفعهم لمغادرة البلاد وبيع عقاراتهم، ولكن الادعاءات اليهودية تحمل مغالطة واضحة لأن هجرة اليهود اليمنيين كانت في سياق قيام الوكالة اليهودية بتهجير يهود الدول العربية الأخرى كمصر والعراق فضلاً عن يهود أوروبا وروسيا.. لتأمين الاحتياج الديمغرافي للكيان الصهيوني ولم تكن بسبب الاضطهاد، وقد تخلص يهود شمال اليمن من كل ممتلكاتهم بالبيع، وكان الإمام (الحاكم آنذاك) يطلب من الراغبين في الهجرة من اليهود التنازل عن ممتلكاتهم للحيلولة دون مطالبتهم بأي حقوق مستقبلية، وكانت تتم هذه الموافقة، أما ممتلكات اليهود في عدن فقد احترقت أغلبها، حيث كان وجودهم يتركز في حي واحد عام ١٩٤٧، واتضح أن هذه الفتنة كان وراءها مكتب المنظمة اليهودية بعدن لخلق جو يدفع اليهود للهجرة، خصوصاً وأن قسماً كبيراً منهم كانوا من التجار